البعد المغاربي من خلال مؤتمرات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا

ASSOCIATION DES ÉTUDIANTS MUSULMANS NORD AFRICAINS (A.E.M.N.A)

الدكتور: عبد القادر كرليل

جامعة الجزائر2

قسم التاريخ

الملخص:

الغرض من هذه الدراسة، وهو إظهار مدى تعلق طلبة دول شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) بفرنسا، بترسيخ قواعد الوحدة عندما جعلوا من **جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا** منبرا للمطالبة بتحسين ظروفهم المادية والاجتماعية، حتى يتسنى لهم مزاولة دراساتهم في ظروف عادية وملائمة كبقية الطلبة الفرنسيين، إلا أن مطالب هؤلاء لم تتوقف عند هذا الحد، بل توسعت لتشمل شعوبهم في أقطارهم الأصلية، باعتبار أنها هي الأخرى تعاني من ويلات الاحتلال الفرنسي.

مقدمة:

تأسست جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في شهر ديسمبر 1927 [1]، على يد طلبة الأقطار المغاربية الثلاثة الذين يدرسون بفرنسا، إثر الجهود التي بذلتها الجمعيات الطلابية التي كانت تنشط في بلدان المغرب العربي بشكل انفرادي.

اهتمت الجمعية في بداية نشأتها بأمور الطلبة البيداغوجية منها والمادية والمعنوية، دفاعا عن حقوق الطلبة وتحسين ظروفهم الدراسية، لكنها مع مرور الأيام ومن خلال التوصيات التي خرجت بها مؤتمراتها اللاحقة، يتبين بأن الجمعية الطلابية أرادت أن تذهب

بفكرة الوحدة إلى أبعد حد ممكن وذلك بعد انتقالها من فكرة توحيد صفوف الطلبة إلى فكرة تحقيق الوحدة والتوحيد بين شعوب منطقة المغرب العربي بغرض الاستقلال والتخلص من الوجود الاستعماري.[2]

عقدت الجمعية مؤتمرها التأسيسي بقصر التعاضدية بباريس بحضور ممثلي طلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة منهم السادة: فرحات عباس ممثل طلبة الجزائر، وصالح بن يوسف، ممثل طلبة تونس، وعلال الفاسي[3]، ممثل طلبة المغرب الأقصى.

كان لفرحات عباس مساهمة كبيرة في وضع أواصر التعاون بين الوداديـة بجامعة الجزائر والجمعية بجامعات فرنسا، ولعل هذا ما يبرر تأثر الجمعية بالإستراتيجية التي رسمتها الوداد ية، إذ سارت على نهجها، ولم تكشف في قانونها الأساسي عن نواياها السياسية، اكتفت فقط بتحديد الأهداف التي تصبو إلى تحقيقها مستقبلا، منها العمل على جمع شمل طلبة شمال إفريقيا والدفاع عن حقوقهم المادية والبيداغوجية وكذا تحسين ظروفهم الاجتماعية من إقامة ومنحة، حتى يتسنى لهم مواصلة دراساتهم بفرنسا في ظروف حسنة.[4]

لقد تداولت على رئاسة الجمعية أسماء عديدة من الطلبة الجامعين للمغرب العربي، هذا ما يدل على جو الحوار الذي كان يسود بين الطلبة المغاربة، لقد كان في كل مرة يعين رئيسا من أحد البلدان الثلاثة ونائبيه من البلدين المتبقيين.

أما عن اهتمامات جمعية الطلبة كانت في بداية مشوارها منصبة على قضايا الفكر والثقافة، بما في ذلك تلك التي لها الطابع الاجتماعي إذ اهتمت بشؤون المرأة التي ظلت مهمشة في القوانين الفرنسية المعمول بها في أقطار المغرب العربي، هذه القضايا وغيرها وضعتها الجمعية نصب عينيها وظلت تذكر بها في كل مناسبة تتيح لها، خاصة في توصيات مؤتمراتها التي كانت تعقد سنويا وبطريقة دورية في مدن المغرب العربي.

ولمعرفة حيثيات هذا الموضوع محل الدراسة اعتمدنا على الإشكالية التالية:

ما مدى تبني جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، للفكر الوحدوي، والعمل على ترسيخه ميدانيا ؟

لعل المرجعية الأساسية التي من خلالها يتمكن الباحث من معرفة مدى تبني الجمعية لفكرة ترسيخ الوحدة بين طلبة أقطار شمال إفريقيا الثلاثة، بغرض تحسين ظروفهم المادية والاجتماعية، وإقامة أواصر الوحدة والتعاون مع شعوب أقطارهم الأصلية، هي مجريات جلسات مؤتمرات الجمعية وما أفرزته من توصيات وقرارات في هذا الشأن.

مؤتمرات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا: (A.E.M.N.A)

إن الحاجة الماسة لتنسيق الجهود والتعاون بين طلبة أقطار المغرب العربي الذين يزاولون دراساتهم في الجامعة بفرنسا، هي التي كانت وراء جمع شمل طلبة بلدان شمال إفريقيا في تنظيم طلابي مشترك عرف باسم، **"جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا "**، وبمجرد تأسيسه أخذ مسيرو التنظيم الطلابي على عاتقهم تولي مهمة حماية حقوق طلبة مسلمي شمال إفريقيا، وكذا الدفاع عن مطالبهم المشروعة الاجتماعية منها والمادية والبيداغوجية، إذ يقول في هذا الشان السيد الطاهر الزاوش بصفته رئيس الجمعية ما يلي: " لقد أسست هذه الجمعية لسد حاجة أحس بها طلبة شمال إفريقية المسلمون في ذلك العهد، فبرغم عددهم، الكثير يجهلون بعضهم بعضا، ولا يلتقي الواحد منهم بأخيه إلا بفضل الصدفة على أنه نرى الطلبة من كافة الأقطار لهم جمعيات يلتفون حولها فتلم شملهم وتؤازر الضعفاء منهم، فكيف يتسنى لنا نحن أبناء بلاد واحدة أن نبقى متفرقين وجمع كافة طلبة شمال إفريقيا المسلمين وسط جمعية واحدة بفضلها يتعارفون ويتبادلون عواطف المودة والإخاء وإعانة المعوزين ماديا وتحسين إقامة الطلبة بفرنسا حتى يزداد عددهم بالكليات ..."[5].

كان للطلبة الجزائريين دور فعال في تحضير وإعداد وتنشيط مؤتمرات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقية، خاصة في ميدان الإعلام وإصدار اللوائح وكتابة البيانات الختامية التي تتضمن التوصيات التي يخرج بها كل مؤتمر جمعية الطلبة، هذا فضلا عن اللقاءات التنسيقية التي ينظمونها بين الحين والآخر مع أشقاءهم من طلبة المغرب العربي (المغرب الأقصى، تونس) للنظر في انشغالات طلبة المغرب العربي وحصرها في لوائح مشتركة ورفعها إلى جهات الإدارة الفرنسية المعنية للنظر والفصل فيها، دون أن ننسى نضالهم الدؤوب والمستمر من أجل تفعيل القضية الجزائرية على المستوى الخارجي بكسب تأييد زملائهم طلاب المغرب العربي، تعد حقا هذه المؤتمرات من أهم الفضاءات التي استغلها طلبة الجمعية لطرح انشغالاتهم على ذوي الحل والفصل لغرض تحسين ظروفهم الاجتماعية والمادية والبيداغوجية، لضمان دراسة أفضل ونجاح أوفر.

إن دور الطلبة الجزائريين الذي كان فعالا في جمعية الطلبة، لا يتناقض مع فكرة تأسيس الجمعية التي هي من وحي الطلبة التونسيين حسب ما جاء في أحد تقارير السيد الطاهر صفر، أحد مؤسسي الجمعية الذي قال بأن فكرة تأسيس الجمعية كانت بمبادرة من الطلبة التونسيين، لكن سرعان ما تبين لهم بأن نجاح وقوة هذه الجمعية لا تكتملتان إلا بإشراك إخوانهم الطلبة في الجزائر والمغرب الأقصى، إذ جاء في تقريره ما يلي: "في الفترة المتمدرسة الفارطة 1927، عقدت قلة من الشباب التونسي بباريس اجتماعات عديدة لتأسيس جمعية الطلبة، تضم شتاتهم وتربط بينهم المودة ... وبعد إمعان النظر ... قرر أغلبية الجماعة أن يكون في المؤسسة الجديدة حظ لإخواننا طلبة الجزائر والمغرب الأقصى"[6].

وبإعطاء التونسيين لهذه الجمعية البعد المغاربي، عقدوا اجتماعا يوم 15 ديسمبر 1927، وخرجوا في نهاية أشغاله بلائحة ختامية تتضمن المبادئ الأساسية للجمعية، وكذا إعادة النظر في قانونها الأساسي الذي أصبح ذو بعد مغاربي، وبمرور السداسي

الأول من سنة 1928، عقدت الجمعية مؤتمرها الأول الذي اجتمع فيه طلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) الذين يدرسون في فرنسا، وانهوا اجتماعهم هذا بالمصادقة وبالإجماع على الصيغة الجديدة للقانون الأساسي للجمعية التي تضفي البعد المغاربي على جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا.

المؤتمر الأول بين 20 و 22 أوت 1931 بالخلدونية (تونس):

إن الضرورة الملحة للعمل في إطار مغاربي مشترك، دفع بطلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة إلى التفكير في عقد مؤتمر يشترك فيه طلبة المغرب العربي وأشقائهم في الجامعات بفرنسا، وحتى وإن يبدو بأن مبادرة انعقاد المؤتمر كانت من الطلبة الجزائريين، والتي تعود إلى سنة 1930 عندما كلف الطالب أحمد بن ميلاد بزيارة جامعة الجزائر للتباحث والتنسيق مع طلبة جامعة الجزائر، نظرا لأهمية الفكرة وصداها المستقبلي في أوساط طلبة أقطار المغرب العربي، رحب بها طلبة جامعة الجزائر، وتم تكليف رئيس فرع طلبة جامعة الجزائر السيد فرحات عباس للسفر إلى باريس في حدود جانفي 1931، لضبط مسألة انعقاد المؤتمر بصفة نهائية ورسمية، وهي المهمة التي وفق فيها بإحرازه على موافقة انعقاد المؤتمر الأول للجمعية.

حضر المؤتمر ممثلين من مختلف أسلاك التعليم، المدرسين منهم والمعلمين وطلبة ثانويات بلدان المغرب العربي، وكذا طلبة الجامعات بفرنسا والجزائر، هذا فضلا عن طلبة الزيتونة والمدارس الإسلامية الحرة بالجزائر، وطلبة القرويين.

كان التمثيل الطلابي في المؤتمر يختلف من بلد إلى آخر، إذ احتلت تونس المرتبة الأولى من حيث العدد، وقد يعود هذا إلى كون تونس البلد المنظم للمؤتمر، وبالتالي ليس في حاجة إلى التنقل، هذا عكس الجزائر التي جاءت في المرتبة الثانية وأخيرا المغرب الأقصى، ولعل ذلك يعود إلى صعوبة تنقل الطلبة من الجزائر والمغرب، بسبب العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية في وجههم.

يذكر أن الجزائر شاركت بوفد يتكون من 7 طلبة جامعيين يترأسهم فرحات عباس[7].

احتضنت قاعة الاحتفالات بالخلدونية أشغال مؤتمر الطلبة، تداول خلالها على المنصة ممثلين عن الطلبة للأقطار الثلاثة بدءا بتونس ثم الجزائر وأخيرا المغرب الأقصى، بالنسبة للطلبة الجزائريين، أخذ الكلمة في بداية الأمر عبد الرشيد مصطفاوي، وهو من كلية الآداب، مستهلا كلمته بالشكر على حسن التنظيم والتحضير والاستقبال الجيد، ثم واصل كلمته في شكل دعوة موجهة للحاضرين حث فيها بمواصلة الدرب على أساس توحيد الصفوف بين طلبة أقطار المغرب العربي للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية المنتهجة في المنطقة والتي مفادها محو قيم وأصالة وثقافة شعوب المنطقة، مؤكدا في نهاية كلمته من خلال قصيدة شعرية ألقاها على مسامع الحاضرين، أن لشعوب المنطقة قواسم مشتركة تتوفر فيها، ينقصها إلا الاتحاد، والذي به تأتي الحرية والاستقلال لا محال، مما جاء في قصيدته :

ترى فيه التعاضد والتآخي ترى فيه المحبة والوئام.

ترى الحرية الحمراء فيه تجي رفقة الشهيد ابتساما[8].

في الجلسة الختامية قدمت اللجان الأربعة[9]، تقاريرها المبدئية حول ما اتفق عليه في جدول الأعمال، استمع الحاضرون بداية للتقرير الذي قدمته لجنة التعليم العالي المتفرع إلى ثلاثة تقارير بحسب كل دولة، بالنسبة للتقرير الذي قدمه الطلبة الجزائريون على لسان محي الدين الشرقي الذي حاول فيه إعطاء حوصلة عامة على مجمل المشاكل والمعاناة التي كان يعاني منها الطلبة المسلمين سواء أثناء الدراسة لقلة الإمكانيات المادية والبيداغوجية وسوء المعاملة مقارنة بالطلبة المعمرين أو ما بعد الدراسة من حيث حظوظ العمل والاندماج في المحيط المهني، تحديدا خريجي كلية الحقوق الذين يجدون الصعوبة في

التوظيف بسبب الحصار المفروض عليهم في تقلد المناصب الإدارية العالية وكذا سلك القضاء وفي مقدمتها المحاكم التي تشترط في موظفيها الجنسية الفرنسية.

أما الشطر الثاني من التقرير الذي رفعه ممثلو الطلبة الجزائريين، قد ألقي على مسامع الحضور على لسان رئيس الوفد الجزائري الطالب فرحات عباس، الذي استعرض فيه الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الطلبة الجزائريين وكذا المعاناة التي يتخبطون فيها من جراء السياسة الاستعمارية المفروضة عليهم وعلى ذويهم.

يتضمن التقرير اقتراحات وتوصيات طلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة، ومما جاء فيه:

- الحد من العراقيل التي يصطدم بها طلبة المغرب العربي للالتحاق بمقاعد الجامعات.
- توفير القروض للطلبة.
- تقديم الإعانات للطلبة دون تمييز.
- المساواة بين الطلبة في الحقوق وفرص العمل بغض النظر عن التخصص المتبع.
- تقديم التسهيلات للطلبة الجزائريين للالتحاق بالجامعة بفرنسا.
- توسيع الإعانات لطلبة التعليم الثانوي بالجزائر[10].

أما اللجنة الثانية، خصصت للتعليم العربي في شمال إفريقيا، تولى رئاستها فرحات عباس الذي عمل على تنشيط فعاليات هذه اللجنة بهدف إبراز الصورة الحقيقية للتعليم العربي في أقطار المغرب العربي وما يعاني طلبته والقائمين عليه من مشاكل، يذكر بأنه رفعت ثلاثة تقارير في هذا الشأن، تقرير رفعه ممثل الطلبة الفرنسيين على لسان محمد الفاضل بن عاشور الذي أطلع الحاضرين بوضع حال عن الحياة الدراسية للطلبة في جامع الزيتونة.

أما التقرير الذي أعده الطلبة الجزائريين، قرأه ممثلهم بوعلام علواش نيابة عن عبد الحق الناصري الجزائري، حيث قدم فيه عرضا مفصلا عن الأوضاع السيئة التي يعاني منها الطلبة الجزائريين في المدارس الرسمية، وخاصة المضايقة الشديدة المفروضة على تعليم

اللغة العربية من خلال القوانين الجائرة الصادرة في حقها من جهة، وضعف مستوى المؤطرين من جهة أخرى.

أما اللجنة الثالثة المخصصة للتعليم الصناعي، فإن معظم التقارير التي أعدها ممثلو طلبة الأقطار المغاربية الثلاثة، تجتمع في مجموعة من المسائل منها أن هذا التخصص ليس في متناول الجميع وإنما تكون فيه الأولوية إلى أبناء المعمرين وأبناء العائلات الثرية، هذا ما حاول فرحات عباس إبرازه في مداخلة أمام لجنة التعليم الصناعي، عندما كشف عن سياسة التمييز التي تمارسها السلطات الفرنسية بما في ذلك ميدان التعليم.

في حين اللجنة الرابعة خصصت لدراسة موضوع تعليم المرأة في بلدان المغرب العربي، إذ ركزت التقارير التي رفعها ممثلو طلبة الأقطار الثلاثة على ضرورة تعليم المرأة وتحسين مستواها الثقافي.

خلاصة لما جاء في جلسات المؤتمر الأول لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، يمكن استخلاص مجموعة من الأفكار التي صيغت في شكل توصيات، تقدم إلى جمعية الطلبة لتصنيفها ضمن أهدافها المستقبلية الواجب تحقيقها، منها:

- عدم الإفراط في الهوية العربية الإسلامية لشعوب المغرب العربي.
- اعتبار اللغة العربية، لغة رسمية لتعليم أبناء وبنات المغرب العربي.
- إدخال إصلاحات على المنظومة التعليمية، بغرض تعميم التعليم وكذا تحديث برامجها حتى تكون مسايرة للواقع الاجتماعي.
- إدماج المرأة في الحياة العامة، وفتح لها آفاق التعليم.

المؤتمر الثاني بين 25 و 29 أوت 1932 بنادي الترقي (الجزائر):

انعقد المؤتمر الثاني لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، كما كان منتظرا بناء على توصيات المؤتمر الأول السالف الذكر، بالجزائر العاصمة على مدار خمسة أيام من 25 إلى 29 أوت 1932 بنادي الترقي[11].

انطلقت أشغال الجلسة الأولى للمؤتمر الثاني للطلبة يوم 25 أوت 1932 برئاسة فرحات عباس[12]، الذي فسح المجال للسيد قدور ساطور[13]، بصفته الكاتب العام للجمعية بإعطاء إشارة الانطلاقة في كلمة افتتاحية أشاد في بدايتها بالحضور، ثم عرج للحديث عن مسار جمعية الطلبة بالجزائر، وكذا أهم الإنجازات التي حققتها بمساعدة الشعب لها، الذي خلص حديثه بالقول: " فليحي شعبنا في ظل العزة والكرامة[13].

للتذكير فإن جمعية علماء المسلمين لعبت دورا كبيرا في توجيه خطاب جمعية الطلبة في المؤتمر الثاني للجمعية بدءا باحتضان أشغال المؤتمر في مقر جمعية العلماء وتداول خطباءها على منصة المؤتمر من بينهم الشيخ الطيب العقبي[14]، الذي أشاد بدور الهيئة الطلابية في خدمة قضايا الفكر والثقافة، ودعا إلى تلاحم الصفوف وتعزيز التضامن والوحدة بين الطلبة خدمة لقضايا شعوب المغرب العربي، بغرض استعادة مقومات الشخصية العربية الإسلامية التي طمسها الوجود الاستعماري طيلة تواجده في المنطقة، وبهذا تكون جمعية العلماء قد بلغت رسالتها المتمثلة في نشر الحس الوطني والديني من خلال مشروع العمل الطلابي المغاربي الذي اعتبرته مكملا لمبادئها وأهدافها.

زيادة عن تواجد الإصلاحيين في جلسات المؤتمر الثاني لهذا التنظيم الطلابي لقد كان للنخبة الليبرالية تواجد واسع هي الأخرى، بل امتد هذا التواجد ليشمل التمثيل المغاربي المعتبر لحضور وجوه طلابية بارزة تدافع على قضايا مغاربية.

بالنسبة للوفد التونسي تشكل من السادة محمد الصالح النيفر، أحمد بن ميلاد، حسن داود، علي البلهوان، الصالح المهيدي، الحبيب تامر، التهامي البناني، الصادق الملوي، محمد الملوي.

أما الوفد المغربي تشكل من السادة :عبد الخالق الطوريس، عبد الحفيظ الشرايبي، ألقى بالمناسبة عبد الخالق الطوريس مداخلة قدم فيها هو الأخر عرضا شاملا عن وضعية التعليم العربي في المدارس بالمغرب الأقصى موضحا عكس ما ذهب إليه الوفد التونسي بأن التعليم في المغرب الأقصى، اتخذ منعرجا جديدا في إطار إصلاحات مستوحاة من تطور مناهج التعليم المعمول بها في مصر وسوريا.

في حين الوفد الجزائري الذي شارك بعدد هائل من ممثلي الطلبة، نذكر أبرزهم السادة فرحات عباس، عبد الرشيد مصطفاي، مفدي زكرياء، توفيق المدني، سعد الدين بن أبي شنب، مصطفى باشا، علي الزاوش، وتولى قراءة المداخلة ممثل الطلبة الجزائريين السيد عبد الرشيد مصطفاي، انصب عرضه في معظمه على وصف الأوضاع المزرية التي يعاني منها الطالب الجزائري في سلك التعليم العربي في كل مراحله في الزوايا والمدارس الابتدائية والثانوية، مبديا في النهاية رأيه للخروج من هذا المأزق الذي يتخبط فيه التعليم بالجزائر، قائلا بأن الحل الوحيد هو إدخال إصلاحات جذرية على المنظومة التعليمية سواء تعلق الأمر بالمواد المقررة أو الطرق البيداغوجية المنتهجة، لكونها لا تتلاءم مع طموحات شعوب المغرب العربي.

وهكذا يستشف من خلال مداخلات ممثلي الطلبة الجزائريين والتونسيين والمغرب الأقصى بأن المطالب التي طرحوها في المؤتمر الثاني تشبه كثيرا تلك التي طرحت في المؤتمر الأول المنعقد بالخلدونية بتونس منها الأوضاع السيئة التي يعيش فيها طلبة أقطار المغرب العربي لانعدام الإمكانيات المادية والنقص البيداغوجي وغيرها من المشاكل التي ظل

طالب المغرب العربي يتخبط فيها، لعل إعادة التذكير بهذه المطالب في المؤتمر الثاني للطلبة يدل على أن السلطات الفرنسية لم تأخذ في الحسبان هذه المطالب و لم تعالجها بعد.

ومن عادات المؤتمرات أنه في نهاية الجلسة الختامية تقرأ على مسامع الحضور التوصيات التي خرج بها المؤتمر، بناء على هذه التقاليد رفعت على الحاضرين مجموعة من التوصيات التي كانت بمثابة تحصيل حاصل للمطالب التي طرحها ممثلي الطلبة للأقطار المغاربية الثلاثة منها:

ـــ تكوين لجنة دائمة للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا.

ـــ انعقاد المؤتمر القادم بالمغرب الأقصى.

ـــ العمل على تحسين ظروف الطلبة في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى ماديا ومعنويا وبيداغوجيا.

لم تفترق جموع الطلبة الجزائريين بعد نهاية أشغال المؤتمر الثاني دون أن يتفق ممثلي الطلبة على صياغة مذكرة يقدمون فيها جزيل الشكر للقائمين على نادي الترقي، مكان انعقاد المؤتمر، وسكان الجزائر على السواء لحسن الاستضافة لهم ومما جاء فيها: " إن التجمع العام للمؤتمر يقدم جزيل تشكراته لأعضاء نادي الترقي وإلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وإلى سكان الجزائر، وإلى الصحافة الناطقة بالعربية وبالفرنسية للمجهودات التي قدمتها من أجل إنجاح فعاليات المؤتمر"[15].

المؤتمر الثالث بين 26 ـــ 29 ديسمبر 1933 بباريس.

لم يعقد المؤتمر الثالث لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالمغرب الأقصى تحديدا بمدينة فاس، كما كان متفقا عليه في توصيات المؤتمر الثاني المنعقد بالجزائر، والسبب في ذلك يعود إلى الإدارة الاستعمارية التي فضلت بأن تعقد أشغال المؤتمر الثالث في العاصمة الفرنسية باريس، بدلا من مدينة فاس المغربية، ربما الغاية التي تريد فرنسا أن تصل إليها من خلال نقل المؤتمر إلى فرنسا، هي من أجل التحكم ومواكبة كل ما يجري من تفاصيل

في أشغال المؤتمر، للعمل دون حيلولة كل ما يضر وجودها في منطقة المغرب العربي، بعد ما تبين لها نمو النزعة الوحدوية بين طلبة أقطار المغرب العربي التي أخذت تتجسد فعليا على أرض الواقع من خلال ما أسفرت عنه من نتائج أشغال المؤتمرين الأول والثاني المنصرمين للطلبة[16]، قبل أن يغير رسميا مكان انعقاد المؤتمر الثالث للطلبة، شرعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر برئاسة علال الفاسي في وضع الترتيبات الأولية تحسبا لانعقاد المؤتمر في وقته المحدد في جدول الأعمال ما بين 19 و 23 سبتمبر 1933 بمدينة فاس الذي سيناقش فيه الطلبة مجموعة من القضايا التي طرحت في المؤتمرات السابقة و لم تجد الحل، وهي ضمن الانشغالات الأساسية لجمعية الطلبة منها:

1 ــ تحسين ظروف الطلبة في مختلف المراحل التعليمية وخاصة التعليم الجامعي.

2 ــ إرسال البعثات الطلابية إلى الخارج ، نحو المشرق العربي وأوروبا.

3 ــ تكوين المؤطرين في ميدان التدريس.

4 ــ ترسيم تعليم اللغة العربية.

5 ــ إدخال إصلاحات على المناهج وطرق التدريس في كل من جامع الزيتونة والقرويين.

6 ــ تعميم التعليم الابتدائي بالمغرب الأقصى[17].

فعلا لقد انعقد المؤتمر الطلابي الثالث بفرنسا، كما أردته السلطات الفرنسية، احتضن أشغاله قصر التعاضدية (Palais de la Mutualité) بباريس، الذي علقت في أعلى واجهته لافتة ملونة بثلاثة ألوان وهي الأخضر يرمز إلى تونس والأبيض يرمز إلى الجزائر والأحمر يرمز إلى مراكش، كتبت عليها بالخط العربي عبارة: «المؤتمر الثالث للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا»، انعقد إذن بين 26 و 29 ديسمبر 1933 برئاسة السيد محمد الفاسي وساعده في ذلك الحبيب تامر بصفته كاتبا عاما وكل من فرحات

عباس وعلال الفاسي وصالح بن يوسف، وأحمد بلافريج وعبد الرحمن ياسين بصفتهم مسؤولين على الهيئة النظامية للمؤتمر.

وكانت الكلمة الافتتاحية على لسان محمد الفاسي ثم فسح المجال للمتدخلين، بالنسبة للجزائريين تدخل فرحات عباس الذي ثمن الصلة القائمة بين الطلبة وشعوب المنطقة، طالبا بقاء هذه الوحدة ودوامها بقوله: " كنت من العاملين في المؤتمر الأول بتونس والثاني بالجزائر، ومن أهم قواعد المؤتمرات ربط الصلة والتواصل بين الطلبة والشعب"[18].

في الواقع أن مساهمة الطلبة الجزائريين في جلسات المؤتمر كانت فعالة وقوية على جميع المستويات التنظيمية كانت أو رئاسة الجلسات وحتى تحرير التقارير وتقديم الاقتراحات.

وإذا كان المؤتمر لم يخرج في خطوطه العريضة عن مطالب اللغة العربية والثقافة وإصلاح القضايا البيداغوجية والمادية والمعنوية للطلبة، لكنه توصل إلى تبليغ رسالة ذات بعد سياسي المتمثلة في ترسيخ ثقافة الوحدة بين طلبة بلدان المغرب العربي من جهة وبين شعوبهم من جهة أخرى، وبذلك تولدت ثقة كبيرة بين الطلبة وشعوبهم بسبب سياسة الإدارة الاستعمارية المنتهجة في المنطقة والتي تعمل على تحطيم آمال سكان هذه الأقطار.

مهما يكون الأمر فإن المؤتمر الثالث الذي عقدته جمعية الطلبة بباريس قد حقق نسبة كبيرة من النجاح ــ ليس كما كانت تعتقد فرنسا ــ إذ تمكن من مواصلة تبليغ الرسالة التي دعت إليها المؤتمرات السابقة، وهي تثبيت الفكر الوحدوي في النضال فيما بين الطلبة وشعوبها في أقطار المغرب العربي من أجل نيل حقوقها واسترجاع كرامتها وحريتها.

المؤتمر الرابع 2 أكتوبر 1934 بالخلدونية بتونس:

انعقد المؤتمر الرابع لجمعية طلبة مسلمين شمال إفريقيا في المدرسة الخلدونية بتونس[19] يوم 2 أكتوبر 1934، على عكس سابقيه من المؤتمرات لقد وجد القائمين على تحضيره

صعوبة في عقده من جراء العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية التي كانت سببا في تأجيل انعقاد المؤتمر الذي كان من المقرر عقده يوم 18 سبتمبر 1934.

والمميز أيضا في هذا المؤتمر هو حضور الهيئات الرسمية التونسية و غياب ممثلي طلبة المغرب الأقصى، هذا الغياب أرجعه القادري إلى أسباب سياسية ومادية لم يدخل في تفاصيلها.

للعلم فإن مهمة التحضير للمؤتمر أسندت للسيد المنجي سليم، الذي كان أيضا رئيسا له، كما تولى افتتاح أشغال المؤتمر من خلال مداخلة ركز فيها على أهمية الوحدة والتوحيد بين الأقطار الأشقاء الثلاثة، باعتبار أن هذه الوحدة سندها الإسلام والعروبة إذ يقول في هذا الصدد: " يا معشر قوم آمنوا بالوحدة و التوحيد، إن مبدأ هذا المؤتمر هو توحيد الآراء ... وإن الغاية السامية التي ترمي إليها وحدة أبناء الأقطار الشقيقة الثلاثة، وحدة بين طلبة المعاهد العصرية والمعاهد القومية الإسلامية، وهي وحدة أسسها الإسلام والعربية ... ".[20]

يذكر أن مداخلات الوفد الجزائري هي الأخرى كانت كلها تصب في بوتقة الوحدة بين شعوب المغرب العربي، وإن هذا الخيار يعد مكسب شرعي لا يحق التخلي عنه، لعل مداخلة مفدي زكرياء، المناضل في حزب الشعب خير دليل على ذلك، التي أسماها الباحثون بعقيدة التوحيد والتي وصف فيها وحدة شعوب المغرب العربي في أجمل صور بلاغية لخصها في عشرة نقاط دعا إليها كل طالب من المغرب العربي إلى اعتناقها كما اعتنق الإسلام عقيدة ودينا، والتي يمكن ذكر البعض منها:

ـــ آمنت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبشمال إفريقيا وطنا واحدا لا يتجزأ.

ـــ أقسم بوحدانية الله إنني أومن بوحدة شمال إفريقيا واعمل لها.

ـــ الإسلام ديننا فشمال إفريقيا وطننا والعربية لغتنا .

على الرغم من أن جلسات المؤتمر الرابع للطلبة كانت مبتورة من حضور وفد ممثلي طلبة المغرب الأقصى الذي تعذر له الحضور والمساهمة في أشغال المؤتمر، إلا أنه خرج بقرارات وتوصيات جد هامة، كانت تعكس مدى تأثر المؤتمرين بحرارة وشدة الإيمان بالوحدة والتوحيد بين شعوب المغرب العربي التي دعت إليها جل المداخلات خاصة تلك التي ألقاها مفدي زكرياء والمنجي سليم، وبذلك افترق الحضور مؤمنا وآملا بأن يرى يوما الأقطار الثلاثة حرة ومستقلة عن الوجود الفرنسي الذي يعمل دوما على استغلال شعوب المنطقة ونهب خيراتها الطبيعية.

المؤتمر الخامس من 06 إلى 10 سبتمبر 1935 بتلمسان (الجزائر)

انعقد المؤتمر الخامس لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بمدينة تلمسان الجزائرية على مدار خمسة أيام، عاد شرف الاحتضان إلى كل من النادي الإسلامي ونادي السعادة التابعين لفرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة تلمسان اللذين احتضنا معظم جلسات المؤتمر[21].

ما دام المؤتمر انعقد على أرض الجزائر فإنه من الطبيعي أن تلقى الكلمة الافتتاحية من قبل جزائري طبقا لأعراف المؤتمرات الدولية، فوقع الخيار على الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أعطى إشارة انطلاق أشغال المؤتمر الخامس للطلبة، ودعا في ذات المناسبة طلبة الأقطار الثلاثة إلى النضال في إطار وحدة شمال إفريقيا دفاعا عن حقوقهم وحقوق شعوبهم المسلوبة من الاستعمار الفرنسي المتواجد في المنطقة مستدلا كلامه بلمحات تاريخية لهذه الوحدة عبر العصور.

وسانده في ذلك الحبيب تامر ممثل الطلبة التونسيين، الذي تحدث طويلا في تدخله على موضوع الوحدة بين شعوب المغرب العربي مؤكدا بأن هذه الوحدة ليست وليدة ظرف ما، وإنما تعود إلى عصور غابرة بحكم الامتداد الطبيعي والمناخي وقواسم مشتركة من لغة ودين وعادات وتقاليد، حيث قال: " إن وحدة الشمال الإفريقي قد أبدها

التاريخ وشهدت بها العصور الغابرة، فغفلنا عنها حينا من الزمن، فلنرجعها اليوم أقوى وأمتن من ذي قبل، وهانحن إلا أبناء بلد واحد، ووطن واحد، طباعنا واحدة وعوائدنا واحدة وأمزجتنا مستمدة من تراب واحد وطقس واحد، جمعتنا راية العروبة وعلم الدين الإسلامي، وتجمعنا اليوم آمال واحدة، وإيمان راسخ في مستقبل زاهر لبلادنا، وسنجتمع غدا في وطن واحد وطننا الشمال الإفريقي".[22]

حتى تتجسد هذه المطالب على أرض الواقع، انتبهت لجنة المؤتمر إلى العراقيل المحتملة التي قد تضعها الإدارة الفرنسية بغرض إفشال هذه المطالب، ولذا سعت لجنة المؤتمر إلى توجيه نداء إلى الحاكم العام في الجزائر جول قاسطون هنري كارد Jules Gaston Henri Carde) الذي كان على رأس الإدارة الفرنسية في الجزائر بين سنوات 1930-1935 تدعوه إلى عدم اللجوء إلى الأساليب القمعية والإجراءات التعسفية التي قد تعيق تحقيق هذه المطالب على أرض الواقع، كما هو الشأن بالنسبة للقانون الذي أصدرته الإدارة الفرنسية سنة 1898 الذي يمنع التعليم العربي ويدعو إلى متابعة رجالاته. للعلم فإن محتوى جدول الأعمال الذي أعدته لجنة التحضير للمؤتمر فإنه لم يخرج عن مضمون جداول الأعمال التي عرفتها المؤتمرات السابقة.

المؤتمر السادس من 21 إلى 27 أكتوبر 1936 بتيطوان (المغرب الأقصى)

انعقد المؤتمر السادس لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالمغرب الأقصى طبقا لتوصيات المؤتمر الخامس المنعقد بعاصمة الزيانيين، مدينة تلمسان الجزائرية، وهذا ما بين أيام 21 و 27 أكتوبر[23] 1936.

غير أن التوصيات التي خرج بها مؤتمر تلمسان، خاصة تلك التي تدعو صراحة إلى رص الصفوف بين طلبة الأقطار المغاربية من جهة وبين شعوب بلدان المغرب العربي من جهة أخرى، للنضال من أجل وحدة أقطار المنطقة، هذه التوصيات ترجمتها الإدارة الاستعمارية بالأمر الخطير الذي يهدد كيان الاستعمار الفرنسي في بلدان المغرب العربي.

ولذا جندت مسؤوليها الإداريين في المنطقة وجعلتهم في حالة استنفار، ودعتهم لتولي الإشراف على جلسات المؤتمر السادس حتى يتسنى لهم التحكم في توجيه مجريات المؤتمر حسب أهواء الإدارة الفرنسية وخدمة المصالح الاستعمارية وليس العكس، كما حدث في باقي المؤتمرات الطلابية السابقة.

تجسيدا لهذه الفكرة، شرع المقيم العام الفرنسي في المغرب الأقصى المدعو (بيروتون) في اتصالات مع الطلبة من خلال مراسلة مؤرخة بتاريخ 4 أكتوبر 1936، اقترح فيها المكان الذي سينعقد فيه المؤتمر وهو مدينة الرباط بدل مدينة فاس، وكذا التاريخ المحدد بيوم 12 أكتوبر 1936، كما أبدى لهم في ذات المراسلة دائما على استعداده في تولي إدارة جلسات المؤتمر[24].

غير أن هذه الاقتراحات لم تتلق استجابة من جمعية الطلبة، بحيث أن القائمين على التحضير للمؤتمر رفضوا مقترحات المقيم العام الفرنسي بالمغرب الأقصى السيد بيروتون، بل اعتبروها تدخلا مباشرا في شؤون الطلبة المغاربة، وتحديد من نشاط الحركة الطلابية.

ولضمان انعقاد المؤتمر السادس والإفلات من يدي الإدارة الفرنسية التي أخذت تنسق تحركاتها في الأقطار الثلاثة لمنع الرخص للطلبة للالتحاق بالمغرب الأقصى بغرض إفشال المؤتمر، سعى عبد الحق الطوريس لدى الإدارة الإسبانية وتحصل على موافقة انعقاد المؤتمر السادس في مدينة تيطوان المغربية التابعة إداريا للحكومة الإسبانية، وبناء على هذه الموافقة حدد تاريخ انطلاق أشغال المؤتمر المتمثل في يوم 21 أكتوبر 1936.

إلا أن هذا المؤتمر لم يكن كسابقيه من حيث نسبة حضور الطلبة بسبب العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية في بلدان المغرب العربي الثلاثة إذ غاب الطلبة الجزائريين عن المؤتمر بعد أن تأخرت الولاية العامة منحهم جوازات السفر في الوقت المناسب، وحضور عدد قليل من الطلبة التونسيين.

خاتمة:

وبانتهاء المؤتمر السادس، تنتهي المؤتمرات الرسمية التي كانت تعقدها جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، إلا أن هذا لا يعني توقف الجمعية الطلابية عن نشاطها وتخليها عن البعد الوحدوي لطلبة شمال إفريقيا المسلمين وشعوبها، التي سطرته لنفسها كمبدأ أساسي لا رجعة فيه، بل واصلت نضالها في خدمة الشريحة الطلابية تجاوبا مع الظروف والأوضاع السياسية.

غير أن المستجدات السياسية التي عرفتها المنطقة في بداية الخمسينيات حالت دون إبقاء هذا التنظيم الطلابي، وكانت البداية من الطلبة التونسيين الذين انساقوا وراء قادتهم السياسيين الذين رفعوا لواء النضال من أجل الاستقلال وأسسوا لوحدهم تنظيم يدعى «اتحاد العام للطلبة التونسيين» في شهر جويلية 1952، وحذا حذوهم في ذلك الطلبة الجزائريين الذين أسسوا «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين» سنة 1956، في خضم الثورة التحريرية بعد أن تبين لهم بأن لا الطلبة التونسيين ولا المراكشيون الذين سبق لهم بدورهم وأن أسسوا «الاتحاد الوطني للطلبة المغاربة» (المراكشيين) في سنة 1955، يرغبون في مواصلة النضال الموحد.

مهما يكن من أمر فإن جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا قد ساهمت في تعبيد طريق الوحدة بين شعوب بلدان المغرب العربي من أجل الاستقلال، إذ كانت مؤتمرات الجمعية الطلابية التي تعقد سواء في تونس أو الجزائر أو المغرب الأقصى فرصة لتبادل وجهات النظر في قضية الوجود الاستعماري في المنطقة من جهة، وتوحيد الخطاب المتضمن لمفاهيم الوحدة والتضامن من أجل استقلال بلدان المغرب العربي من جهة أخرى.

الهوامش

1. جريدة المجاهد، الصادر بتاريخ 8 /08/ 1960، العدد 74.

2. محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910ـ 1954، رسالة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1994، ص 191.

3. ـ يعد صالح بن يوسف أحد أقطاب الحزب الدستوري في تونس وهو من المقربين للحبيب بورقيبة.

4. كان له دورا فعالا في الحياة السياسية للمغرب الأقصى، وهو من حماة فكرة توحيد بلدان المغرب العربي، وهو أيضا أحد صانعي مؤتمر طنجة المنعقد بالمغرب الأقصى سنة 1958 بصفته رئيس حزب الاستقلال المغربي.

5. CATRICE (Paul), tudiants musulmans en France in : en terre d'islam, Mai – Juin 1932, N°54, p. 178.

6. أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصرة 1881ـ1956، تعريب حمادي الساحلي، قرطاج تونس، 1986، ص 500.

7. جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، النشرة السنوية 1928 / 1929، المطبعة التونسية سوق البلاط، تونس 1929، ص 15.

8. وهم على التوالي: فرحات عباس طالب في كلية الطب، محي الدين الشرقي طالب في كلية الحقوق، الشريف بن الحاج سعيد طالب في كلية الحقوق، عباس القلي طالب في كلية الحقوق، عبد الرشيد مصطفاوي طالب في كلية الآداب، بوعلام علواش طالب في كلية الآداب، الهادي مصطفاوي طالب في كلية الحقوق.

9. جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا، نشرة محاضر جلسات المؤتمر الأول، المطبعة الأهلية، تونس، 1931، ص 11.

10. وهي لجنة التعليم العالي، لجنة التعليم العربي، لجنة التعليم الصناعي، لجنة تعليم المرأة.

11. جمعية الطلبة، نشرة محاضر جلسات المؤتمر الأول، المرجع السابق، ص 31.

12. تأسس نادي الترقي سنة 1927، الواقع بالجزائر العاصمة، وهو أحد النوادي التي لعبت الدور الأساسي في الحياة الفكرية والدينية والسياسية التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة، وفيه تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اشتهر باحتضانه لعدة مؤتمرات منها مؤتمر جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، والمؤتمرات التمهيدية للمؤتمر الإسلامي 1936.

13. للمزيد أنظر: عمر عيشون، نادي الترقي قلعة الإصلاح الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الطبعة الأولى، الجزائر، 1987، ص 03.

14. Le 2eme Congrès des étudiants musulmans nord Africains in en terre d'islam, septembre / octobre 1932, N°56, p.331.

15. يعد من أبرز شخصيات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، الذي واصل نضاله بكل حزم وثبات خلال الثورة التحريرية، وشاءت الأقدار أن يعيش بزوغ أشعة شمس الحرية والاستقلال على الجزائـــر، وظـــل مسايرا للأحداث إلى أن توفى يوم 19 نوفمبر 1997، بعد مرض عضال ألزمه الفراش في فرنسا.

16. جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، نشرة أعمال المؤتمر الثاني، مطبعة الاتحاد تـــونس، الطبعـــة الأولى، 1932، ص10.

17. الطيب العقبي (1888-1960)من مواليد منطقة سيدي عقبة (بسكرة)، سافر إلى المدينة المنورة رفقة أفراد عائلته وهو لا يتجاوز ستة سنوات، وهناك حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والفقه، عشية الحرب العالميـــة الأولى اقتحم ميدان الكتابة حيث كتب في قضايا الدين والسياسة، وأن موقفه المؤيد للشريف الحسين في المشرق العربي كلفـــه بدخول السجن من قبل السلطات العثمانية، وفي سنة 1920 عاد إلى الجزائر وكان أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلين الجزائريين التي واصل فيها نضاله بصفته مصلحا وأديبا.

18. للمزيد أنظر: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، رسالة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993.

19. Le 2eme Congrès, op. cit, p.335.

20. أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحير 1954، رســـالة دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص 126.

21. جمعية الطلبة، نشرة أعمال المؤتمر الثالث، باريس، مطبعة الاتحاد، تونس، 1933، ص 06.

22. المصدر نفسه، ص 19.

23. يذكر أن الخلدونية سبق لها وأن احتضنت أشغال المؤتمر الأول لجمعية الطلبة المنعقد سنة 1932.

24. جريدة الأمة، الصادرة بتاريخ 19 / 10 / 1934، العدد 04.

25. DESPARMET, (J), le 5eme Congrès des étudiants musulmans nord Africains, in : A.F, décembre 1935, N°12, p. 716.

26. أبوبكر القادري، مذكراتي، في الحركة الوطنية المغربية بين 1930ـــ1940، الجزء الأول، الطبعـــة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 282.

27. في حين أوصى مؤتمر تلمسان عقده بين 7 إلى 12 سبتمبر 1936 .أنظر جريدة الأمة، الصادرة بتاريخ 2 أفريل 1935، العدد 26.

28. MOHANDIS, (L) *La situation dans l'Afrique du Nord*, in : A.F, Septembre / Octobre 1936, N°08, p. 456.